خاطب الجميع بلفظ المخصص بالعقلاء فيه تغليبا ولولا التغليب لكان القياس
ان يقال يذرؤكم وإلا لكان من الخشاني والمفتاح وغيرهما وقال بعضهم
لتغليب المخاطبين على الغيب حيي بالكاف لا بالهاء ولتغليب العقلاء
جيء بالميم لا بالنون وقيل ان يقول جعل الخطاب شاملا للانعام
تكلف لا الحاجة اليه لان الغرض اظهار القدرة وبيان كمال الطاف في
حق الناس بالخطاب يختص منهم ومعنى يذرؤكم فيه يبثكم
ويكثركم في هذا التدبير وهو ان جعل للناس والانعام ازواجا
ازواجا حتى حصل منهم التوالد وكثر التناسل فجعل هذا التدبير
كالمنبع والمعدن للبث والتكثير فلذا جيء بفي دون الباء لان
التدبير سبب للبث والتكثير ونظيره ولكم في القصاص حياة اذ صار
مشروعية القصاص منبعا ومعدنا للحياة لما كانت سببا لها فان
القاتل بالقصاص يردع القاتل عن قتله فيكون سببا لحياة نفسين ولانهم
كانوا يقتلون غير القاتل والجماعة بالواحد فتثور الفتنة فاذا اقتص
من القاتل سلم الباقون وبصدد ذلك سببا لحياتهم وعن جماعة منهم
ان معنى التغليب بالجمع الذين استووا وخوطبوا انهم قوم يجهلون
في الاول تغليب الغائبين على الحاضرين والاقبل انتم وفي الثاني بالعكس
والاقبل تجهلون بتاء الغيبة ولسيبويه فاما هذا اي الثاني من مراعاة
المعنى اي مما روعي فيه جانب المعنى دون اللفظ وذلك لان يجهلون
صفة لقوم فمقتضى الظاهر ان يكون الضمير العائد عليه ضمير غيبة
اذ هو اسم ظاهر طريقه الغيبة لكن لما كان المعنى به الحاضرين بقوله
انتم الذي هو معناه فجعل ضميره ضمير خطاب وتركت رعاية لفظه
فلم يجعل ضميره ضمير غيبة كذا قال ابن هشام وصاحب التلخيص في ان
الاية من التغليب واعتبره الفارابي من تغليب جانب المعنى على
جانب اللفظ ورجحه على ما مر لان القياس فيه الغيبة لانه ضمير
اسم ظاهر ولفظ لفظ الغائب وهو في المعنى عبارة عن الحاضر
فغلب جانب الخطاب على جانب الغيبة قال المحشي وقد الصق وانما
هذا من مراعاة المعنى لا يرفع التغليب الا ان ما بين مراعاة
المعنى وبين تغليب المعنى على اللفظ لرفعه تحقيق تغليب المعنى والحقيقة
ان يجعل انتم قوم تجهلون ليس من تغليب الخطاب على الغيبة اذ ليس ثم
مخاطبون وان كان ثابت فقد زيد الجمع لمعنى الخطاب بل هو
غلبة المعنى على اللفظ لاقتضاء اللفظ الغيبة وقد عبر بالخطاب
لظهور المعنى والاول من مراعاة اللفظ اي مما روعي فيه اللفظ
دون المعنى لان الذين اسم ظاهر طريقه الغيبة وهو مناد عن خاص

فلفظ

فلفظ غيبة وهو من المعنى بخاطب وقد روعي جانب اللفظ فقيل امنوا
ولم يراع جانب المعنى والاقبل انتم القاعدة الثامنة
انه يعبر عن الفعل الذي هو المحدث عنه امور كثيرة احدها وقوع وهو الاصل
او الغالب والثاني مشارفة والذي منه فاذا طلقتم النساء فطلقوهن
اي اردتم فاسكوهن اي فشارفتم انقضاء العدة ولا يكون الطلاق على
الحقيقة لان الامساك اذ ذاك لا يكون له لانه لم تبق زوجة لانقضاء عدتها
فلا يمسك له عليها وبين تعبيرا في المشرف والطلاق هو الوصول الى
الشيء ويقال للدنو منه على الاستتباع وهو المراد عند الاية لتصير ترتب
فاسكوهن الاية عليه اذ لا امساك بعد انقضاء الاجل والذين يتوفون
منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم اي والذين يشارفون
الموت ويتركون ازواجا يوصون وصية هذا كما يرى على قراءة وصية
بالنصب وهي قراءة ابي عمرو وابن عامر وحمزة وحفص وقرأ الباقون
بالرفع على تقدير ووصية الذين يتوفون او وكتب عليكم وصية او كتب
عليهم وصية والجحيم الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا
اي تركوا وقصدت وفصل من هذه الاية وتقديرها وقدرت
المشارفة الا ان الامر بالوصايا انما يتوجه اليهم قبل الشروع والاظهر
بعده اموات وما تقدم وكرة الملك كاد الجبال لفقده تزول
زوال الراسيات من الصخر هو من اول الطويل ولم قائل والفعل
الذي عبر عنه المشارفة فيه قوله وزوال الراسيات مشارفة
الزوال لان زوالها قد وقع لا تفصل والثالث ارادته واكثر ما يكون
وتكاد التعبير بالفعل عن ارادته بعد اداة الشرط حتى في اذا قرأت
القرآن فاستعذ اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا اذا قضيتم الصلاة
فانتشروا فكن وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط واذا قلتم
فاعدلوا فكن واذا عزمت فتوكل على الله اذا ناجيتم الرسول فقدموا
اذا خاطبتم الرسول فقدموا اذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن
وفي الصحيح اذا اتى احدكم الخلاء فليستنج وان الفعل في هذه
الامثلة كلها قد عبر به عن الارادة فصح ترتب الجزاء عليه وعبر
وعبر ايضا عن التعبير بالفعل عن ارادته من غير الوقوع بعد اداة
الشرط فاخرجا من ذلك من الموتى فاخرج منها غثيثا
اي غثيثا هذا بيت من الطويل قاله الاخطل والذي خلقناكم
ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا الاية ثم لم يترتب لا
يمكن هنا مع الحمل على الظاهر لتقدم قول اسجدوا للملائكة
على خلقنا وتصويرنا وان كان متاخرا عن خلق ادم وتصويره

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)